مقياس: النقد الأدبي المعاصر

السنة الثانية: دراسات نقدية

المحاضرة السادسة: البنيوية

- **تمهيد:**

بعد الحرب العالمية الثانية ظهر توجه جديد في الدرس النقدي تجاوز أسس النقد السياقي الذي كان يهتم بحياة الكاتب وأعماله والسياق الخارجي للنص، واتجه نحو دراسة النصوص من الداخل اعتمادا على بناء النص وعلاقاته الداخلية، فكان ظهور المنهج البنيوي في النقد الأدبي.

ولم يكن ظهور المنهج البنيوي في النقد الغربي مفاجئا، إنما ظهر بعد إرهاصات عديدة تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، من خلال مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانا وزمانا أهمها الدراسات اللغوية أو اللسانيات، حيث أفكار العالم اللغوي دي سوسير، كما أسهمت مدرسة الشكلانيين الروس ومدرسة النقد الجديد في تطوره.

1- البنيوية: مفهومها وخصائصها وأشكالها

البنية في اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي بنى، وتعني البناء أو الطريق أو الكيفية التي يكون عليها البناء، وهي عند الغربيين (Structure)، مشتقة من الأصل اللاتيني (Struere) الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها بناء معين.

أما في الاصطلاح فقد شهد تحديدها صعوبة ، وذلك نتيجة تمظهرها وتجليها في أشكال متعددة مما جعل حتى أقطاب هذا التوجه يعترفون بصعوبة تحديد معنى دقيق للبنيوية، يقول جان بياجيه متحدثا عن هذه الصعوبة في كتابه البنيوية: "إن إعطاء تعريف موحد للبنية

رهين بالتمييــز بين الفكرة المثاليـة الإيجابيـة التي تغطـي مفهـوم البنيـة في الصراعات أو في آفاق مختلف أنواع البنيات، والنوايا النقدية التي رافقت نشوء وتطور كل واحدة منها مقابل التيارات القائمة في مختلف التعاليم"، كما أقر بهذه الصعوبة ميشال فوكو حين قال: "إنه من الصعب إعطاء مفهوم للبنيوية وذلك لأنها تجمع اتجاهات ومباحث وطرقا مختلفة".

ويرى الباحثون أن رومان جاكوبسون هو أول من استخدم مصطلح (البنية) بمعناه الحديث؛ وذلك في البيان الذي أصدره في أعمال المؤتمر الذي عقده الشكلانيون سنة 1929م.

وقد عبر جاكوبسون عن فكر الشكلانيين اتجاه النص الأدبي بضرورة اقتصار الاهتمام على المضمون الجمالي للأدب (الشكل) وعدم الالتفات إلى مضامين أخرى، يقول في ذلك: "إن هدف علم الأدب ليس هو الأدب في عمومه، وإنما أدبيته؛ أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا".

انطلق رومان جاكبسون من مقولات المدرسة الشكلانية في تحديد البنيوية، إذ تنطلق من دراسة العمل الأدبي في ذاته، فهي تؤكد "أن العمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعه، ويكتسب خلال عملية الموضعة الفنية وجوده الخاص المستقل، وهو جوهر البنيوية الشكلانية.

وعلى هذا الأساس تركزت البنيوية على تحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدبا، ولم تهتم بوظيفة الأدب أو معنى النص.

ويمكن القول إن البنيوية هي منهج يقصي الخارج (التاريخ والمجتمع والإنسان)، ويركز فقط على لغة النص؛ باستقراء الدوال الداخلية له دون الانفتاح على محيطه، فالبنيوية منهج وصفي في قراءة النص الأدبي يقوم على خطوتين أساسيتين هما: التفكيك والتركيب، ويرى هذا المنهج أن النص الأدبي منغلق على نفسه، له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته، وهو نظام لا يكمن في ترتيب عناصره؛ وإنما في تلك الشبكة من العلاقات التي تنشأ بين كلماته وتنظيم بنيته.

2- مفهوم البنية:

تحمل البنية طابع النظام أو النسق؛ وهو المنظومة التي تعني الموضوع الكلي الذي يتألف من عناصر ترتبط فيما بينها بعلاقات محددة، ويشكل مجموع هذه العلاقات البنية.

ويعرف معجم لالاند البنية بأنها: "كل مكون من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه"؛ فالبنية تعبر عن مجموع متجانس ومتآلف بين أجزاء عدة بحيث لا تؤدي معناها إلا في إطار المجموع.

كما أن البنية تعني الترابط الداخلي بين تلك الأجزاء أو العناصر، ويعرفها جان بياجيه بقوله: " إن البنية هي نسق من التحولات يحتوي على قوانينه الخاصة، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تستعين بعناصر خارجية، وبإيجاز فالبنية تتألف من ثلاث خصائص هي الكلية والتحول والضبط الذاتي".

أ- **الشمولية (الكلية):** تعني التماسك الداخلي للوحدة، بحيث تصبح كاملة في ذاتها، وليست تشكيلا لعناصر متفرقة.

ب- **التحول:** البنية غير ثابتة وتظل توّلد من داخلها بنى دائمة التوثب والجملة الواحدة يتمخض عنها آلاف الجمل التي تبدو جديدة.

ج- **التحكم أو الضبط الذاتي:** أن تعتمد البنية على نفسها لا على شيء خارج عنها.

3-أعلام البنيوية:

أبرز أعلام البنيوية دي سوسير وجاكوبسون في علوم اللسان، وكلود ليفي شتراوس في الأنثروبولوجيا، وجاك لاكان في علم النفس، ورولان بارت وتودوروف وجيرار جينيت وغريماس.... في النقد الأدبي.

وقد عرفت البنيوية عند العرب من خلال كتابات عديد النقاد أهمهم: صلاح فضل من خلال كتابه (النظرية البنائية في النقد الأدبي)، وكمال أبو ديب من خلال كتابه (جدلية الخفاء والتجلي 'دراسة بنيوية في الشعر الجاهلي') وكتابه (الرؤى المقنعة)، وغيرهما من النقاد مثل عبد السلام المسدي ومحمد برادة ويمنى العيد ومحمد مفتاح وعبد المالك مرتاض...

4- البنيوية التكوينية:

شهدت البنيوية اتجاها جديدا حاول تجاول مفهوم البنية المغلقة للنص وعزله عن سياقه الاجتماعي، بالسعي إلى توكيد العلاقة بين خارج النص وداخله وهو اتجاه البنيوية التكوينية أو التوليدية لمؤسسه "لوسيان غولدمان' (1913- 1970) الذي رأى أن مهمة النقد هي البحث عن الدلالات الفكرية والاجتماعية لبنية النص الأدبي.

يقول: "إننا لا نستطيع أن نفهم جوهر الجمال بمعزل عن العالم الخارجي؛ لأن فكرة الجمال بحد ذاتها خلفية وجودية تأريخية، وليست فقط تصويرية"؛ إذ تقوم البنيوية التكوينية منهج يحلل النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية تخبئ تحتها بنية اجتماعية، وقد أصدر غولدمان عددا من الكتب المتصلة بقناعاته البنيوية منها: الإله الخفي، وعلم اجتماع الإبداع الأدبي، ومن أجل علم اجتماع الرواية.

5- مستويات التحليل البنيوي:

أولا: **المستوى الصوتي:** تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع ...

ثانيا: **المستوى الصرفي:** تدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة، وهذا المستوى يحتاج إلى كل ما يُبنى عليه علم الصرف.

ثالثا: **المستوى المُعجمي:** وتُدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الأسلوبي لها، بمعنى أنه يبحث في دلالة الكلمات اللغوية.

رابعا: **المستوى النحوي:** تدرس فيه تأليف وتركيب الجمل وطُرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية، بمعنى أنه يبحث في بناء الجملة سواء أكانت فعلية أو اسمية أو شبة جملة.

خامسا: **مستوى القول:** وذلك لتحليل تراكيب الجمل الكبرى؛ لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

سادسا: **المستوى الدلالي:** وذلك بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر (على أن ينطلق المحلل من اللغة)

سابعا: **المستوى الرمزي:** وتقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

فالمحلل البنيوي يقوم بدراسة جميع هذه المستويات في نفسها أولا، وعلاقتها المتبادلة وتوافقاتها والتداعي الحر فيما بينها والأنشطة المتمثلة فيها، وثانيا هو ما يحدد في نهاية الأمر البنية الأدبية المتكاملة.